الفصل الأول مظاهر التطور والتجديد في الشعر العباسي وانصهارها مع الثقافة العربية في بوتقة الإسلام الذي أصبح حضارة جديدة لتلك الثقافات . ولا يتلام مع الروافد الثقافية التى عب منها الشعراء ذوو الجنسيات المختلفة ! فظلوا يدورون في ذلك الحاكم أو صاحب النفوذ ، ومن ثم حرموا من الحرية التي لا يزدهر الشعر إلا في ظلها ، وجاء نتاجهم الأدنى صدى لما يريده المتبوع ! وقد عاش الخليفة العباسي حياتين تخالف الواحدة منهما الأخرى كل المخالفة : حياة خاصة يتحلل فيها كثيراً من القيم الإسلامية ، وحياة عامة معلنة حرص فيها على الظهور بالصورة التي تليق بإمام المسلمين وقائدهم ، وكان من بعض لوازم هذه الحياة أن يظهر فيها بمظهر المحافظ على اللغة والمقدس لتعاليم الدين ، وأدى هذا بدوره إلى أن تمتلى هذه الحياة بأفذاذ العلماء فى كافة المجالات ، ومن ثم فلن يتاح للشاعر الاقتراب منها والتمتع بما تفيضه من خيرات ، إلا إذا وضع عينيه على حماة اللغة وسدنتها الذين يحتلون الصدر فيها. ولذلك كانت هذه المحافظة الشديدة لدى الشعراء حتى غير العربى منهم ، سواء أكان ذلك في تصدر هذه المجالس ، التي يجب أن تظل العربية فيها قوية مزدهرة ، ومن أجل ذلك كان حرصهم على التعمق في اللغة وسبر أغوارها ، وانتقالهم إلى البادية المشافهة الأعراب (٢) والمحافظة على الصورة المألوفة والمرجوة ـ للغة ، كما يراد لما عند علمائها الذين شعروا بالمكانة التي يتمتعون بها ، فما كان منهم إلا أن بالغوا وتشددوا في المقاييس التي يزنون بها الشعر ، هو المثل الأعلى الذي ينبغى على الشاعر أن يحاكيه ويحلو حلوه ، ونظروا إلى التراث نظرة تقديس تحول دون التطور المرجو للشعر (1) . وتباعد بين الشاعر والانفعال بعصره والتعبير عنه وتد معظم النوافذ وشعر ذاتى يعبر فيه الشاعر عن ذاته ، وبين هذين اللونين من الفروق الفنية ما يضاهي الفروق التي تميزه وهذه الظاهرة واضحة فى شعر كثير من شعراء العباسيين ـ كابي نواس وأبي العتاهية . ويعترف بشار بشئ قريب من هذه الازدواجية عندما قيل له : إنك لتجئ بالأمر المهجن ، إذ تقول : (إذا ما غَضِبْنا غضبة مُضَرِيَّةٌ . ثم تقول : (ربابة ربة البيت . ، فقال : كل وأحسن عندها من من و قفانبك شي في موضعه . وربابة هذه جارية لى . وقولى لها أحب إليها من ذكرى حبيب) (١) ؛ وقد حاول الدكتور طه حسين أن يعلل لروح المحافظة التي سيطرت على الشعر العباسي وعاقته عن التطور المرجو بالنسبة لما أصابته آداب الأمم الأخرى من التطور ، والآخر يجذبها بعنف إلى الخلف . وكان تنجذب إلى الوراء بحكم الدين وبحكم لغته الدينية التي كان الحفاظ عليها وصيانتها واجباً دينياً لا سبيل إلى جحوده أو التقصير فيه . ثم الخلفاء الذين وإن أعجبوا بهؤلاء الشعراء، فإنهم اضطروا أحياناً إلى حبسهم ، وعدم مخالطتها مخالطة أدبية وعقلية أثر واضح في عدم التطور لأن الحضارة المادية لا تكفى وحدها لدفع الشعر إلى التطور المنتج (1) وربما يدعم هذا الرأى أن المترجمين ، العرب لكتاب أرسطو و من الشعر

Summarized by © lakhasly.com